جدلية السحر والدين

[موقف الانثروبولوجيا والديانات السماوية]

د/ رشا علي أحمد البارودي
قسم الفلسفة – جامعة الخرطوم

المستخلص :

يتناول البحث العلاقة بين السحر والدين من وجهة نظر الانثروبولوجيا والديانات السماوية ، وذلك من خلال محاولة متابعة الخيط الذي يربط السحر بالدين منذ قديم الزمان الأمر الذي جعل بعض الطقوس السحرية تمارس باعتبارها شعائر من صميم الدين . وفي هذا الصدد قدم البحث تعريفات وتصنيفات للسحر والدين ثم استعرض الاتجاهات الانثروبولوجية الأربع التي تقيم العلاقة بين المجالين مع التركيز على نظرية جيمس فريزر والنقد الذي وجه لها . وبعد تحليل ونقد هذه الاتجاهات الأربع تم ترجيح الاتجاه الرابع وبيان مبررات ذلك باعتباره موافق لموقف الإسلام . وينتهي البحث إلى رأي الديانات السماوية في السحر وتحريمها له بالرغم من وجوده كممارسة اجتماعية مختلطة بهذه الديانات مع توضيح موقف الإسلام في التحريم القطعي لها لخطورتها على العقيدة والمجتمع.

ABSTRACT:

This search dealt with the relation between Magic and Religion since the old edges according to the Anthropological and holy Religious point of view . And to explain how some societies make the Magic rituals as basic elements in the general religious practice . In that field we defined and classified each of these concepts and did - therefore - a critical discussion about four doctrines in relation between each other with special review on J.Frazer's Theory , and then we are going on to analyze and verify the fourth doctrine which corresponds with the general position of Islam and other holy religions which prevent strictly any magic rituals for safe the right belief and societies.

الكلمات المفتاحية : السحر– الدين – التابو– القربان– الانثروبولوجيا.

المقدمة:

أن السحر من الظواهر الاجتماعية القديمة التي ظلت تؤرق الإنسان وتهمه سواء كان هذا الاهتمام رجاءً أو خوفاً أو بحثاً عن الحقيقة. وفي بعض الأحيان نجد أن السحر يتخلل الدين، بداية من الديانات الوثنية وديانات ما قبل التاريخ وحتى في ممارسة الناس للشعائر السماوية، مما أدى إلى أحداث نوع من سوء الفهم لدى البعض للدين والتعامل مع الطقوس السحرية باعتبارها اصول دينية، وهذا في حد ذاته يمثل سبباً أساسياً لدراسة هذا الموضوع وقد استفاض الغربيين في دراسة مسألة السحر والدين. فتكونت المواقف الانثروبولوجية والتي تمثلت في أربعة مواقف رئيسية (خروج السحر من الدين– خروج الدين من السحر– الاختلا ط بين السحر والدين– الفصل التام بين السحر والدين). فكان لا بد من حسم الخلاف من خلال الأحكام الواردة بالدين الإسلامي حول السحر والتي تفصله تماماً عن الديانات السماوية.

السحر لغة:

السحر لغة أصله التمويه بالحيل والتخيل وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء.(محمد بن احمد ، تفسير القرطبى)

وفي لسان العرب السحر عمل يتقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، كل ذلك الأمر كينونة السحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى. قال الأزهري: واصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره.(ابن منظور ، 1951)

وكلمة سحر في اللغة العربية يقابلها في اللغات الأوربية لفظتا Sorcery, Magic كما أن كلمة ساحر يقابلها لفظتا Sorcerers, Magician وتستخدم لفظة Sorcellerie لما يعرف بالسحر الأسود والذي مقصده أحداث الضرر.(السيد محمد بدوى ، 1993)

تعريفات السحر:-

توجد عدة تعريفات للسحر وقبل طرح هذه التعريفات يجب أن نوضح أن كلمة سحر بوجه عام يقصد بها وظيفة اجتماعية طقسية تقوم بشعائر لجلب الخير أو دفع الخطر.(السيد محمد بدوى ، نفس المرجع)

ويعرف ابن خلدون السحر في مقدمته بأنه علم بكيفية الاستعدادات التي تمكن النفس البشرية من التأثير في عالم العناصر، أما بغير معين أو معين من الأمور السماوية، ذلك أنه يرى أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع فهي مختلفة الخواص، فنفوس الأنبياء – عليهم السلام– لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى، ونفوس السحرة تؤثر بقوة نفسانية أو شيطانية وهذه النفوس تأتي على ثلاثة مراتب، أولها المؤثرة بالهمة فقط من غير اله أو معين وهذا هو الذي يسميه الفلاسفة السحر، وثانيها يكون بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد، ويسمى الطلسمات، وثالثها التأثير في القوى المتخيلة ويسمى بالشعوذة.(ابن خلدون ، 2008)

ويعرف فريزر[*] (1854 –1941) Jeams Gerge Frezer السحر بأنه نسق كاذب أو زائف للقانون الطبيعي مثلما هو موجه مضلل للسلوك، أنه علم كاذب بقدر ما هو فن عقيم. ويقول أننا إذا نظرنا إلى السحر باعتباره نسق للقانون الطبيعي، بمعنى تقرير القواعد التي تتحكم في تتابع الأحداث في العالم، فانه يمكن تسميته بالسحر النظري، وإذا نظرنا إليه باعتباره مجموعة من القواعد والتعاليم التي يتبعها في تحديد أهدافه فإنه يمكن حينذاك تسميته بالسحر العملي (جيمس جورج ، 1998)

ولمزيد من التوضيح يرى فريزر أن السحر العملي له وجهين سحر سلبي وهو التابو وسحر إيجابي وهو الطلسم، فالسحر الإيجابي أو الطلسم يقول أفعل كذا لكي يحدث كذا بينما السحر السلبي أو التابو يقول لا تفعل كذا حتى لا يحدث كذا، ومع ذلك فإن النتيجتين سواء المرغوب فيها أو غير المرغوب فيها تحدثان تبعاً لقانون التشابه والاتصال. ويقول فريزر أننا لو أطلقنا كلمة سحر بشكل عام على ذلك النسق الخاطئ بجانبيه النظري والعملي لأمكن تعريف التابو بأنه هو الجانب السلبي للسحر العملي والطلس هو الجانب الإيجابي ويمكن التعبير عن هذا من خلال الشكل التوضيحي التالي:

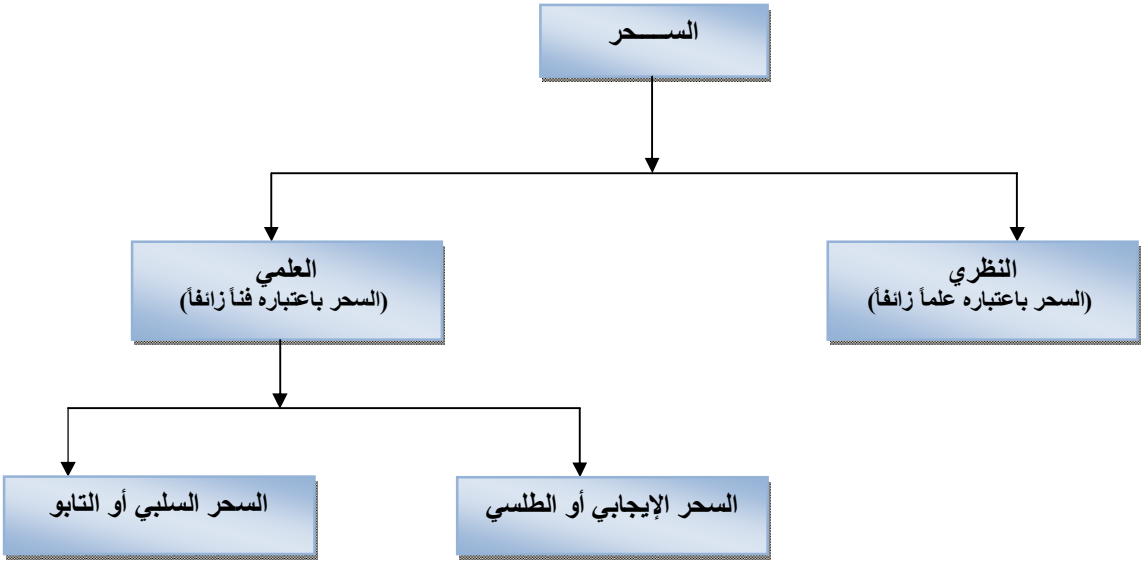

ويندرج هذا تحت ما يعرف بالسحر التعاطفي (مرجع سابق) كما سيأتي الحديث عنه لاحقا.

ويرى البعض أنه يجب أن نفرق بين مظهرين للسحر، مظهر يستخدم فيه الساحر طقوساً وممارسات سحرية ويطلق عليه مصطلح (Magic)، ومظهر يتمثل في قوة غامضة تعتقد بعض الجماعات البدائية أن بعض الأشخاص يمتلكونها وهي قوة فطرية ومتوارثة ويطلق عليها مصطلح (Witchcraft).(سامية حسن الساعاتى ،1982)

أما السحر في الشرع الإسلامي فهو كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع، ومتى ما أطلق ذم فاعله قال تعالى: (سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ) الأعراف: 116. وقد يستعمل مفيداً فيما يمدح وهو السحر الحلال قال صلى الله عليه وسلم (إن من البيان لسحرا) رواه البخاري.(نفس المرجع)

الدين لغة:

في لسان العرب الدين هو الحساب، والدين هو الطاعة وقد دنت له أي أطعته، والجمع أديان. يقال: وإن بكذا ديانة وتدين به فهو دين ومدين.(ابن منظور ، 1469)

ولفظه دين العربية لها معان مختلفة لكنها مرتبطة فيما بينها، فاللفظة مشتقة من فعل (دان) وأصله دين ومعناه أذل، استعبد، وحاسب. وتدل هذه الأفعال على علاقة بين طرفين يسمو أحدهما على الآخر.

وفي الحضارة الأوربية استخدمت لفظة (Religion) للدلالة على الدين، وأصل الكلمة لا تبني، لكن وقع خلاف في الرأي حول مصدر الاشتقاق، فهناك رأى يعود إلى ما قبل المسيحية يقول بأن لفظة Religio مشتقة من الفعل Relegate، وعندما يتعلق هذا الفعل بالسلوك الداخلي للإنسان فإنه يعني عودة على ما تم، التفكير والتبصر والاختلاء، وكان هذا السلوك يلازم شعائر العبادة. وهناك رأى آخر قال به بعض المؤلفين المسيحيين في القرون الأولى للمسيحية وهو أن اللفظة مشتقة من فعل Religare الذي يعني إعادة الربط بين البشر والآلهة.(معن زيادة ، معهد الانماء العربى)

تعريفات الدين:

جرت عدة محاولات لتقديم تعريف شامل للدين، لكن هذه المحاولات واجهت صعوبات كثيرة منها اختلاف شكل تقسيم الأديان سواء من الناحية التاريخية أو تقسيمها إلى وثنى وسماوي أو حتى التقسيم الجغرافي. فكل هذه العوامل بالإضافة إلى غيرها قد صعبت تقديم تعريف شامل وموحد للدين لكن هناك بعض التعريفات حاولت التركيز على الجوانب المشتركة في الديانات المختلفة لتقديم تعريف محدد. فمثلاً جاء في دائرة المعارف الفرنسية شعائر على اتصال بغير العادي، وبالعبور من العادي إلى غير العادي، وبفعل الواحد على الآخر.(نفس المرجع) وهذا يعتبر الاتجاه الأول في التعريفات (Eimile Dwrkhem, 1858- 1917).

ومن جهة أخرى يرى دور كايم(*) أنه للتعريف عن الدين يكفي أن نصف الشكل الديني الأكثر بدائية. أما الاتجاه الثالث فيقوم بدراسة الواقع الديني في ذروته في أبعاده الداخلية والخارجية أي في الدين الذي يأخذ به المؤمن، ويدافع عنه ويرفعه مقابل أي دين آخر.

أما الانثروبولوجيون فيمكن تقديم رؤيتهم من خلال تعريف جيمس فريزر في كتابه الغصن الذهبي حيث يقرر أن الدين هو عملية استرخاء وطلب عون قوي أعلى من الإنسان يعتقد بأنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية. ولكي يصح الدين لا بد من وجود عنصرين أولهما الاعتقاد بقوى عليا، وثانيها محاولة استرضاء هذه القوى، وبالتالي يكون للدين مظهر عملي وآخر نظري.(خزعل الماجدى ، 1997)

وقد تختلف التعريفات بشأن مفهوم الدين، لكن الجميع يركزون على علاقة الدين بالمقدس، ذلك أن المقدس هو الفكرة الأم للدين، أما الدين فهو تدبير المقدس، والمقدس غالباً ما يتضاد مع الدنيوي أو الحياة الدنيوية.

أنواع السحر:

يختلط استخدام مصطلح السحر بكثير من المصطلحات الأخرى ويأتي مرادف لعدد من المصطلحات لكن يمكن تحديد عدد من أنواع السحر وهي:

السحر ألخارقي:

وهو مجموعة الظواهر الباراسيكولوجية التي ثبت علمياً ظهورها عند الإنسان، وهذا النوع من السحر يتوفر لدى بعض الناس حيث يكون لديهم قوة خارقة تؤثر في قوانين الطبيعة.

السحر التعاطفي:

وهو السحر بصورة عامة وقد حاول الإنسان فيه أن يستفيد من قوانين الطبيعة وينقسم إلى قسمين:

أ. السحر التشابهي: ويعود إلى أن الإنسان قد لاحظ أن الجزء يشبه الكل في الطبيعة، فالماء المأخوذ من ماء النهر يشبه ماء النهر كله مثلاً، فظن أنه قادر على التحكم في الأشياء من خلال مبدأ التشابه الذي يرى أن العلل المتشابه ينتج عنها نتائج متشابهة، فالساحر مثلاً يرسم صورة لعدوه ثم يطعنها ويحرقها على أساس أنها تشبهه.

ب.السحر الاتصالي: وهو يقوم على مبدأ الاتصال الذي يرى أن للجزء تأثيراً على الكل كما أن للكل تأثيراً على الجزء، فالبذور الموجودة في الثمرة تنتج هذه الثمرة مرة أخرى، فرأى الساحر أنه إذا أخذ شعرة من إنسان مثلاً يمكنه أن يؤثر عليه من خلالها.

والسحر التعاطفي بصورة عامة ينقسم إلى سحر أبيض وهو السحر الذي يهدف إلى تأثير في ظواهر كالمطر وغيرها من أجل جلب الخير أو درء الخطر، وسحر أسود وهو يؤدي إلى جلب الضرر.(مرجع سابق)

سحر الطلسمات:

الطلسم هو العمل الذي يقوم به الساحر بمساعدة الشيطان أو بأمره على ورق أوقماش أو معدن أو غيره لضرر شخص أو أكثر.

وقد فرق الفلاسفة بين السحر والطلسمات فقالوا أن كلاهما له أثر على النفس الإنسانية إلا أن السحر لا يحتاج فيه الساحر لمعين بينما صاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك، فالمنجمون يقولون أن السحر اتحاد روح بروح والطلسم اتحاد روح بجسد.(ابن خلدون ، نفس المرجع).

وهذا النوع يدلنا على تداخل بعض أنواع السحر في بعضها الآخر فتعريف ابن خلدون هنا لسحر الطلسمات يدخله في باب سحر التنجيم وهو النوع التالي.

علم التنجيم أو سحر التنجيم:

هناك من يزعمون أنهم يحققون السحر بواسطة النجوم وهم من عباد النجوم الذين يرون أنها مؤثرة في الإنسان والحيوان والأكوان. ويعتمد هذا السحر على حركة الأفلاك، ومنازل القمر، ويربط السعد والنحس بالأبراج الأثنى عشرة المعروفة.)(عمر سليمان ، 1997).

سحر التخيل:

وهو تأثير في القوى المتخيلة، يعمد صاحب هذا التأثير إلي القوي المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا لما يقصده ، ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فينظر الراءون كأنها في الخارج ويسمى هذا عند الفلاسفة بالشعوذة أو الشعبذة .

والشعوذة تعتمد على الدجل والحيلة والغش وخداع البصر وخفة اليد وقد يعرف هذا النمط بالسحر الكاذب، وبممارسة عدد من الناس ويحاولون تقليد ما يفعله الساحر ألخارقي أو التعاطفي بوسائل أخرى .

السحر المجازي:

هذا النوع يقوم على حيل علمية، ومعرفة خواص المخلوقات كما يقوم على خفة اليد والكذب على ضعاف العقول، وبعض الناس يحترفونه كفن ترفيهي ويبدو أن هذا هو السبب في تسميته بالسحر المجازي.

السحر الذي يؤثر بهمة الساحر:

قد يصنف البعض العين ضمن أنواع السحر التي يؤثر فيها الساحر علي غيره من دون الاستعانة بشيء آخر، فقد يمتلك هذا الشخص قوى خفية تستطيع أن تدمر أو تهلك كالأشعة، مثل أن يكون لدى بعض الأشخاص قوى خاصة يستطيعوا من خلالها أن يصرعوا الآخرين إذا تكلموا ببعض الكلمات. قال صلى الله عليه وسلم (العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين) صحيح مسلم.

ويعتبر ابن خلدون أن العين هي تأثير من ألمعيان عندما يستحسن بعينه مدركاً من الذوات أو الأحوال ويرغب في سلب ذلك الشيء عمن اتصف به، فيؤثر فساده.

وقد نجد عدد كبير من أنواع السحر الأخرى مثل ما يسمى بسحر الصيدلي والذي يستعين فيه الساحر بالخصائص الطبيعية والكيميائية للأعشاب أو أشياء أخرى بصورة علمية. أو ما يعرف بسحر الحظ والبركة، وهو الاعتقاد بأن شخص ما أو شيء ما محظوظ أو مبروك وأنه يجلب الحظ أن توصف بأنها من السحر أو يدخل بها السحر، مثل قراءة الكف والفنجان والودع وغيرها من الممارسات التي تتنبأ بالغيب أو تقوم بأمور خارقة للعادة.

ويمكن تصنيف أنواع السحر السابقة في عدة تصنيفات مختلفة مثل:-

1/ التصنيف على أساس الممارسة العملية:

أ. الطلس (السحر الإيجابي): وهو السحر الذي تستخدم فيه التعاويذ والطقوس لتحقيق شيء مفيد.

ب.التابو (السحر السلبي): وهو السحر الذي يقوم على قواعد سلبية هي التحريمات، والتابو تعني الخوف المقدس وقيود التابو لا تصدر عن الآلهة وإنما عن البشر وهي تختلف عن قيود الأخلاق في أنها غير مبررة وتؤخذ كأمر مسلم به.

ونوعا الطلس والتابو ينتميان إلى قانون التشبيه أو السحر التشاكلي.

2/ التصنيف على أساس اجتماعي:-

أ. السحر الخصوصي: سحر يستخدم الطقوس ولصالح أو أذى أناس معينين.

ب.السحر العمومي: سحر يمارس من أجل المجتمع كله وهو يوجد في القبائل البدائية ممثلاً في شخص ساحر القبيلة.

3/ تصنيف السحر على أساس فائدته:-

أ. السحر الأبيض.

ب.السحر الأسود .

ويبدو واضح من التسمية أن الأبيض هو المفيد على حسب اعتقادهم والأسود هو الضار.

4/ السحر على أساس القصد:-

أ. السحر التلقائي: وهو غير إرادي.

ب.السحر الإرادي: وهو إرادي وقصدي.

ويتفق الاثنان في أن نتيجتهما الضرر والأذى.

5/ هناك تصنيف آخر يعرف بتصنيف ريموند فرث:-

أ.السحر المنتج: وهو مقبول اجتماعياً مثل (سحر الصيد- سحر الخصب- سحر الحصاد أو الزرع وغيره).

ب. السحر الوقائي: وهو أيضاً مقبول اجتماعياً مثل (سحر صيانة الثروة وشفاء الأمراض ومضاد للسحر الضار وغيره).

ج.السحر الضار: وهو السحر الأسود والتلقائي والإرادي وهو غير مقبول اجتماعياً.

د. العقائد السحرية: وهو سحر تشكل في شكل عقائد ذات طابع ديني وميز منه ثلاثة أنواع هي: الفتشية والارواحية(عبادة الأرواح) والطوطمية .

أنواع وتصنيفات الدين:-

توجد الكثير من التصنيفات لمفهوم الدين ولكن سنحاول إيراد التصنيفات الأساسية في هذا المجال والتي ربما قد تكون أدخلت الدين في علاقة مع السحر،فمثلاً الانثروبولوجين يرون أن هناك ثلاثة معتقدات أساسية هي التي شكلت جذور الدين الأولى عند الإنسان وهي الفتشية والارواحية والطوطمية.(اوجست كونت ، عالم وفيلسوف فرنسى).

وقد ورد هذا التقسيم في حديثنا عن تصنيفات السحر الذي تناول ما يعرف بالعقائد السحرية التي ميزت بأنها عقائد سحرية لها طابع ديني وهي الفتيشية والطوطمية والارواحية ويبدو أن هذا كان من دواعي الحديث عن علاقة السحر بالدين فالتطور الأخير للسحر يعتبره البعض جذور للدين.

ونجد تصنيف آخر للدين عند اوجست كونت* (1798-1857) (Auguste Comte)، فقد قسم المرحلة اللاهوتية إلى ثلاثة أنواع أو أطوار هي:

عبادة الطبيعة كالشمس والنجوم وتسمى بالحالة الوثنية، ثم مرحلة تعدد الإلهة، ثم مرحلة التوحيد الإلهي.

أما دور كايم فيري أن كل الظواهر الدينية تنقسم إل قسمين أساسيين هما: العقائد والطقوس، فالعقائد هي التي تصنف الأشياء إلى مقدس وغير مقدس، وهذا ما يميز الدين، أما الطقوس فهي سلوك الإنسان تجاه المقدس(قبارى محمد ، 1967)

ونجد أن الطقوس هي من الأشياء المتشابهة أو المشتركة بين السحر والدين.

تصنيفات الأديان:

بصورة عامة يمكن تصنيف الأديان إلى ثلاثة أنواع:

1. الأديان البدائية: وهي نوع بسيط من الأديان يدخل في إطار الأديان والعقائد السحرية مثل الفتشيه والارواحية والطوطمية، وما يميز هذه الأديان البدائية أنها غير منزلة ويدخل في مكوناتها السحر.

أديان الشرق الأقصى: وهي تعتمد على جوهر الهي لا يشخص في آلهة فهي لا تلعب دوراً كبيراً في هذه الأديان ذلك أنها تتعايش مع المجال القدسي فهذه الآلهة هي مجرد مرحلة وسيطة نحو المجال القدسي وقوته المتبدية في عالم الناس ومن أمثلة هذه الأديان، الأديان الصينية وهي: التاوية والشنتو، والأديان الهندية التي تتكون من الفيدية والبراهمانية والبوذية والجانية.

أديان الآلهة: وهي الأديان التي عمت العالم القديم وبالخصوص الشرق الأدنى والمناطق المحيطة بالبحر المتوسط سواء كان في أوربا أو الشرق والفكرة الأساسية في هذا النوع هو وجود آله أو آلهة تقوم عليها العقيدة الدينية، وأصناف هذه الأديان: الأديان متعددة الآلهة، الأديان التفردية، الأديان الثنوية، والأديان التوحيدية.

وفي هذا النوع من تصنيفات الدين نجد أن قابلية اختلاط السحر بالدين تتأرجح على حسب نوعية الدين نفسه وليس بحسب التطور التاريخي فكلما بعد الدين عن الإله أو التوحيد نجد أن طقوسه قد تختلط أكثر بالطقوس والممارسات السحرية.

وبالرغم من الاختلاف حول أنواع وتصنيفات الدين يحاول البعض تقديم تلخيص للعناصر الأساسية التي ينطوي عليها النظام الديني وتميزه من النظام السحري ولكن قد تشترك معه بعض العناصر المميزة للدين هي:

1. الاعتقاد بوجود مجال مقدس يمتاز عن النطاق العلماني الكوني العادي.

2. الاعتقاد بوجود نظام كوني يقابل المجال المقدس ويخضع له.
3. الاعتقاد بوجود تجاوب وتأثير متبادل بين النطاق القدسي والعلماني.
4. القيام بأعمال وطقوس للتقرب بين الطبيعة الإنسانية والطبيعة القدسية، كالتصوف والزهد.
5. ارتكاز السلوك والطقوس على أفكار وآراء نظرية تعرف باسم العقائد.
6. احتوائها على نواهي إلزامية مستمدة من قداسة المصدر.
7. تقديم القرابين والأضاحي لما هو مقدس.

الموقف الانثروبولوجي من علاقة السحر بالدين:-

يمكن عرض العلاقة بين السحر والدين لدى علماء الانثروبولوجيا من خلال الحديث عن أربعة اتجاهات أساسية في تقسيم هذه العلاقة وهي:

الاتجاه الأول :الذي يرى أن السحر قد ينشأ عن الدين بعد أن أفسده وحوله إلى جانب الشر ومن هؤلاء اليه Allier الذي يري أنه عندما تحول المجتمع من الطابع الجمعي إلى الفردية خرج السحر عن الدين وأيضا(Paul Huvelin, 1873- 1924) هوفلان(*) ودور كايم اللذان يريا أن كل النظم الاجتماعية هي ذات أصل ديني.

وكذلك اندرو لانج[13]* (Andrew Lange, 1844- 1912) الذين يرى أن المرحلة الدينية قد سبقت المرحلة السحرية، فهو يؤمن بأن ديانة التوحيد البدائي والإله الاسمي هي الديانة التي كانت سائدة في فجر المجتمعات الإنسانية وأن الطقوس السحرية ما هي إلا تشويه لتلك الديانة الفطرية[14].

الاتجاه الثاني الذي يرى أن الدين نشأ من السحر فقد كان الرحالة والمبشرون والعلماء الأوائل يفترضون أن الرجل البدائي لا يعرف الدين، ومن هؤلاء روبرت تايلور(*) Taylor, 1832- 1917 الذي يرى أن فكرة الله لم تظهر إلا في مراحل متأخرة من تاريخ الإنسانية والرأي السائد عندهم هو أن السحر مهد لظهور الدين، وأن معظم الممارسات والطقوس التي يمارسها البدائيين وتتصل بالغيبيات والأمور الخارقة هي في الحقيقة ممارسات وطقوس سحرية.

ويظهر هذا الاتجاه بوضوح في نظرية فريزر عن علاقة السحر بالدين

نظرية فريزر :

يشير فريزر في بادي الأمر إلى ما بين الظاهرتين من تنافر في المظهر الخارجي. فأهم ما يميز الدين على حد قوله الضراعة والتوسل من جانب الإنسان نحو قوة عليا يعتقد أنها تسيطر على شئون الطبيعة وعلى حياته وهذه الصفة وحدها قد تكون كافية لتظهر تعارض الدين مع السحر.

فموقف الساحر هو موقف الآمر المتحكم. أما رجل الدين فإنه يضرع ويتوسل وذلك لأن الأول يشعر أنه يواجه قوى قد تكون مماثلة له في طبيعتها أو أقل منه على حين أن الثاني مقتنع تماماً بأنه يتوجه نحو قوة عليا خارجة عنه وتتحكم في مصيره.

وهذا التعارض بين موقفي الدين والسحر يفسر لنا العداء المستحكم الذي كان ينشب بين السحرة والكهنة. فإن غطرسة السحرة واستخفافهم بالقوى التي تسيطر على الطبيعة جلبت عليهم سخط رجال الدين كانوا يقارنون هذا التحدي بخضوعهم أمام عظمة الآلهة.

والذي زاد هذا الشعور بالسخط هو ما كانوا يشاهدونه من ثراء السحرة وتمتعهم بالجاه أو السلطان دون عناء على حين أنهم كانوا يقضون العمر في التقشف وتعذيب النفس.

وعلي الرغم من امتزاج السحر بالدين في كثير من العصور وكثير من البلاد ، إلا أن فريزر يقرر أن السحر سبق الدين ويدعم ونظريته هذه بثلاثة أسباب:-

1. إن السحر أقدم من الدين في التاريخ الإنساني ذلك أن الشعوب البدائية عرفت السحر قبل الدين.
2. بينما تختلف الأنساق الدينية ليس فقط من بلد لأخر بل وأيضا داخل البلد الواحد فان نسق السحر واحد بمبادئه وممارساته (1) . فكلية السحر وخصوصية الدين سببها أن السحر هو الطبقة الأكثر عمقاً أو الجذور الأصلية التي تفرعت عنها الديانات.
3. تتميز الظواهر السحرية بأنها بسيطة أولية على حين أن العقائد الدينية وما يتبعها من شعائر وطقوس تمتاز بالتعقيد الذي يدل على تقدم الفكر.

نلاحظ في بعض الديانات اختلاط شعائرها ببعض عناصر السحر كأن تحتوي هذه الشعائر على صيغة الرجاء والأمر معاً.

ولا بد أن ذلك قد حدث في عصر الانتقال من السحر إلى الدين فتعلقت بعض عناصر السحر بالعقائد الدينية وأصبحت جزء منها، ويبدو هذا الامتزاج واضحاً في ظهور الرجال الآلهة في المجتمعات القديمة حيث كان الحاكم يجمع بين صفات الساحر والإله والحاكم.

وقد واجهت نظرية فريزر هذه الكثير من النقد، وبالخصوص من أصحاب الاتجاهات الأخرى في علاقة السحر بالدين. فنجد ليفي برول يرى أن فريز قد أخطأ من حيث المنهج. فقد بنى نظريته وما علق بها من تفسيرات مختلفة على مبادئ عقلية، تختص بها عقلية الشعوب المتحضرة وأراد تطبيق هذه المبادئ على العقلية البدائية. فنراه يتحدث عن التشابه والاتصال والتناسق والعلية، وقد نزع عن السحر كل عنصر عاطفي على حين أن العقلية البدائية تخضع لسلطات الروح أكثر من شيء آخر.

أما موس (Marce Maussm 1872- 1850)[*] وهربرت (Henry Hubert, 1872- 1987)[*] فقد قام نقدهم لنظرية فريزر من خلال دراساتهم عن موقف الساحر فاثبتوا خطأ فريزر في اعتقاده أن الساحر شخص ماكر يستغل سذاجة الأفراد أي أنه يعتمد على عقله في التأثير عليهم. فالحقيقة التي أثبتها البحث أن الساحر يكون أثناء تأديته لعمله، في حالة ذهول وغيبوبة، ويأتي بحركات غير إرادية وهذه الحالة التي تعتريه تنتقل عن طريق التأثير وبفعل البخور والطبول والرقصات التي تصاحب العمليات السحرية إلى من حوله من مريديه فتنتابهم نفس الأعراض. وهذا شرط أساسي لنجاح عملية السحر.

هذا بالإضافة إلى أن العمليات السحرية ليست بسيطة كما يرى فريزر بل هي شديدة التعقيد فهناك شروط لمكان أدائها الذي يراعى أن يكون بعيداً عن المساكن "كالمقابر والكهوف والمستنقعات والغابات" حيث تتخذ الأرواح والشياطين مقامها.وهناك شروط تتعلق بالزمان والذي يجب أن يحدد بدقة وعناية من حيث

الساعة واليوم والشهر والسنة. ويستدعى ذلك إلماماً بحالة الكواكب وأوضاعها حتى أنه يقال أن بعض السحرة الهنود يعتقد أن من الشعائر السحرية ما لا تواتيه الظروف لأدائه إلا مرة واحدة كل 45 سنة.

ويأتي التعقيد أيضاً من اختيار الساحر لأدوات السحر وكيفية تحضيرها. فالساحر الذي يريد أن يعالج مريض مثلاً، يذهب لجمع أعشابه في ليلة قمراء أو عند شروق الشمس ويجمعها بنظام خاص مستعملاً إبهامه وسبابته دون الأصابع الأخرى ويراعى إلا يمر ظله على الأرض التي يختارها لجمع أعشابه...الخ.

كما أن مضمون السحر نفسه وما يحتويه من رموز واستدعاء قوى خفية يخرج عن صفة البساطة[15].

أن كل ما سبق ينفي عن السحر البساطة ولكنه يتناقض مع نفي موس وهربرت لصفة المكر عن الساحر وأنه يكون في حالة ذهول وغيبوبة، فالتعقيدات التي تسبق إعداد العملية أو الطقوس السحرية والتعقيدات في أثناء الطقوس السحرية قد تتعارض مع حالة الغيبوبة التي يدعيها الساحر.

أما الاتجاه الثالث: فهو يميل إلى دمج السحر مع الدين، فهناك من يدرجون السحر في إطار الفكر الديني، باعتبار أن المعتقدات الدينية تتمشى وتنسجم مع كل نمط من أنماط التفكير يمكن تصوره، فالسحر وفق هذه النظرية يعتبر طيفاً من أطياف الاعتقاد الديني، وبما أن العقل البشري قادر على أن يستوعب كل نوع من أنواع الاعتقاد طالما أنه يستجيب لإحدى الرغبات القوية فقد يلجأ بعض الناس إلى الممارسات السحرية على أمل أن تتحقق رغباتهم ومرادهم.

ويصب رأي ليفي برول[*] (Levy Brouhl, 1857- 1939) في هذا الاتجاه حيث يرى أن محاولة فصل السحر عن الدين أو القول بسبب احدهما على الآخر ما هي إلا محاولة عقيمة، فالسحر والدين مظهران لفكرة واحدة أو ظاهرة خاصة تميزت بها عقلية الشعوب البدائية وعرفها ليفي برول* "بظاهرة ما قبل التدين".

ومما يؤيد هذا القول أن العلماء المحدثون لا ينظرون إلى السحر والدين والعلم على أنها مراحل مختلفة في مراحل تطور المجتمع الإنساني، وإنما يعتبرونها أنماط من النشاط العقلي أو ثلاث وجهات نظر إلى الكون وأحداث الطبيعة وأنها توجد جنباً إلى جنب في المجتمع الواحد في وقت واحد، ويؤثر بعضها في بعض.

ويرى فراس السواح[*] في كتابه "دين الإنسان" أن الدين لم ينشأ عن السحر لأنه لا فرق بين السحر والدين عند منابت وجذور الثقافة الإنسنية، وليس الذي يدعوه فريزر سحراً إلا شكلاً أصلياً وأولياً من أشكال الدين سابقاً على ظهور الشخصيات الإلهية في المعتقدات الدينية للإنسان. والقوى التي يعتمد عليها الساحر هي قوى دينية. ويذهب السواح إلى أنه حتى بعد أن ظهرت الإلهة المشخصة واستغلال السحر عن الدين نجد بعض طقوس السحر قائمة في قلب الديانات التي تقوم على الإيمان بالإلهة المشخصة.(فراس السواح ، 2002)

والاتجاه الرابع : هو الذي يفصل تماماً بين السحر والدين، ونجد هذا التمييز يظهر بوضوح عند ابن خلدون كما سبق وذكرنا في تعريفه للسحر، فهو يقول في مقدمته: " لنقدم هنا مقدمة يتعين بها حقيقة السحر، وذلك أن النفوس البشرية وأن كانت واحدة بالنوع فهي مختلفة بالخواص، وهي أصناف لها خاصية لا توجد في الصنف الآخر، وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها، فنفوس الأنبياء- عليهم السلام-

لها خاصة تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم الصلاة والسلام عن الله– سبحانه وتعالى– كما مر، وما يتبع ذلك من التأثير في الأكوان، واستجلاب روحانية الكواكب للتعرف فيها والتأثير بقوة نفسية أو شيطانية، فأما تأثير الأنبياء فبمدد الهي وخاصية ربانية، ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المعينات بقوى شيطانية، وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الآخر".

والشاهد في قول ابن خلدون أن السحر مختلف تمام الاختلاف عن الدين سواء كان في المصدر أو في طريقه التأثير.

ونجد أيضا هربرت ومارسيل موس قد فصلا فصلاً تاماً بين السحر والدين في كتابهما (علم الاجتماع والانثروبولوجيا).ويفصل موس بين طقوس الدين وتجارب السحر، فالسحر هو في الحقيقة بقايا معتقدات قديمة، وما يميز السحر عن الدين بصورة واضحة هو مفهوم التحريم الذي يضع حداً فاصلاً بين طقوس الدين وتجارب السحر، فإذا كان الدين يتعلق بالخير والقربان فإن السحر يرتبط بالشر والضرر.

وفي هذا الاتجاه يذهب كودرجنتون(*) (Robert Codrington, 1830– 1922) الذي يرى أن عقيدة ألمانا التي يعتقد بها سكان ميلانيزيا هي القوة السحرية. وهذه القوة بالرغم من أنها خارقة للطبيعة إلا أنها كامنة في الأشياء وهذا ما يميزها عن القوة العلوية الخارجية، وهذا التمييز يعد الخطوة الأساسية في التمييز بين السحر والدين.

وقد ذهب ليمان وما لينو سكي(*) (Malinowski, 1884– 1942) إلى ما ذهب إليه كودرجنتون من تفرقه بين السحر والدين حتى وصلا إلى أن السحر والدين ظاهرتان متباينتان لا صلة بينهما من حيث الأصل وأن كل منهما تقوم على أسس نفسية مختلفة، فالسحر يقوم على القوة الخفية التي تسرى في المحيط الأرضي أما الدين فإنه يقوم على فكرة التقديس التي ترتبط بقوة علوية خارجية.

وكذلك برغسون(Henry Bergson, 1859– 1841) في كتابه "مصدري الدين والأخلاق" يفصل بين السحر والدين، فالعلاقة بين السحر والدين في نظره تقتصر على الأساس النفسي الذي أوجد كليهما وفيما عدا ذلك لا مجال للتساؤل حول إذا ما كان السحر قد تفرع عن الدين أو الدين تفرع عن السحر، فالظاهرتان معاصرتان لبعضهما.

وما يجعل السحر مختلفاً عن الدين هو نوع المعتقد. فالقوة الخفية في الدين خارجية تجسدها كائنات إلهية وهي التي تسيطر على الإنسان، بينما القوة الخفية في السحر تكمن داخل الإنسان وأن وجدت خارجه فإنها تظل مرتبطة به، والدين يتضمن بالإضافة إلى المعتقد والطقس على الأسطورة بينما يخلو السحر من الأسطورة.

وبالرجوع إلى الاتجاهات الرئيسية السابقة والتي تتحدث عن علاقة السحر بالدين يمكن القول أن الاتجاه الذي يرى أن السحر قد نشأ عن الدين يمكن قبوله في حالة أن الدين الذي نتحدث عنه هو الدين غير السماوي أي دين من صنع البشر أو دين سماوي محرف، ففي هذه الحالة فقط يمكن الحديث عن طقوس وشعائر مشتركة بين السحر والدين ذلك أن الاثنين في هذه الحالة من صنع البشر.

أما الرأي الذي ينكر وجود الدين لدى الرجل البدائي يمكن الرد عليه ببساطة أن الدين وجد مع وجود الإنسان على الأرض "سيدنا آدم"، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل عمران : 33).

واصطفاه آدم كان بالوحي إليه وبإكرامه له(ابى بكر الجزائرى ، 2008)وقال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة : 27). والقربان هو ما يتقرب له إلى الله تعالى كالصلاة والصدقات وفي أصل كلمة دين أنها تعني علاقة بين طرفين يسمو أحدهما على الآخر، ويتقرب فيه الضعيف إلى القوي. بهذا يكون الدين وجد مع آدم وبني آدم. وقد يكون البعض قد استغل وجود كلمة قربان في الدين وفي السحر فافترض خروج الدين من السحر أو السحر من الدين أو اختلاطهما. لكن الاشتراك في المصطلح لا يعني تماثل المفهوم. ويمكن تحليل هذه الملحوظات في اتجاهين غالباً ما أقمنا التحليل على أساسهما وهما:

أولاً: إذا كان الدين الذي نتحدث عنه هو دين سماوي فإن السحر في هذه الحالة هو الذي يأخذ فكرة القربان عن الدين مع أجراء التعديلات عليها.

ثانياً: إذا كان الدين الذي نتحدث عنه هو دين غير سماوي فقد يأخذ من السحر فكرة القربان أو من غيره.

ولا يمكن تقبل الرأي الذي ينكر وجود دين لدى الرجل البدائي إلا بإقرار الافتراض الذي يقول بأنه كان يوجد جنس يسمى البشر قبل وجود سيدنا آدم وهو جنس يختلف عن الإنسان الذي بدأ بسيدنا آدم ولدينا هنا نقطتين أساسيتين: أولهما أن الرجل البدائي هو ما يعرف بالبشر وليس الإنسان، والذي وجد قبل سيدنا آدم عليه السلام الذي هو بداية الإنسان كما يذهب عبد الصبور شاهين في كتابه أبي آدم حيث قال:" ونستطيع أن نقرر مع علماء الإنسان(الانثروبولوجيين) أن الأرض عرفت هذا الخلق الذي ظهر على سطحها منذ ملايين السنين. وتختلف تقديرات العلم باختلاف عمر الأحفورات، ونتائج التحليل العلمية. وقد اطلق العلماء على هدا المخلوق خطاء أو تجاوزاً لقب (إنسان)، فقالوا إنسان بكين، أو إنسان جاوه أو إنسان كينيا، أو ما سوى ذلك من الاطلاقات التي تعني مراحل تكوين (البشر).(عبدالصبور شاهين ، القاهرة)

وقال أيضا: "والذي ينبغي أن يستخدم في تسمية تلك المخلوقات العتيقة التي تدل عليها الاحافير هو (البشر)، وواجب أن يقال: بشر بكين، وبشر جاوه، وبشر كينيا، وبشر النياندارثال...الخ. أما (الإنسان) فلا يطلق بمفهوم القرآن الأعلى ذلك المخلوق المكلف بالتوحيد والعبادة لا غير، وهو الذي يبدأ بوجود آدم عليه السلام، وآدم – على هذا– هو "أبو الإنسان"، وليس (أبو البشر)، ولا علاقة بين آدم والبشر والذين بادوا قبله، اللهم إلا تلك العلاقة العامة والتذكارية باعتباره من نسلهم.

وأياً كانت الأدلة التي يسوقها عبد الصبور شاهين لتأييد هذا الموقف، فوفقاً لهذا القول أن الرجل البدائي هو ما يعرف بمرحلة البشر. والدين بدأ مع سيدنا آدم الذي هو بعد مرحلة البشر، إذن الرجل البدائي ليس له دين، أي دين سماوي فقد يكون لديهم دين من صنع البشر..

وثانيهما: أن الرجل البدائي يبدأ مع سيدنا آدم وليس هناك وجود قبله، فإذا كان الرجل البدائي ليس لديه دين يحسب رأى الانثروبولوجين فآدم عليه السلام ليس لديه دين وهذا ما ينفيه القرآن الكريم في قوله تعالى: (إِنَّاللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل عمران : 33).

ونلخص إلى الآتي: إذا كان لا دين قبل سيدنا آدم بنص القرآن، وسلمنا بفرضية عبد الصبور شاهين بوجود بشر قبل سيدنا آدم فإن هؤلاء البشر لا دين لهم، وهذا ما يؤيد رأى علماء الانثروبولوجيا في أن الدين خرج عن السحر لأن الرجل البدائي لا دين له.

وإذا كان لا دين قبل سيدنا آدم ولا بشر قبل سيدنا آدم عليه السلام فإن الدين كان قبل السحر، وهذا يفسر قول علماء الانثروبولوجيا.

أما الاتجاه الثالث والذي يرى أن السحر والدين مظهران لفكرة واحدة، يمكن الرد عليه أيضاً من خلال التمييز للمقصود من كلمة دين. فإذا كان المقصود بالدين الدين السماوي فلا يكون السحر والدين مظهران لفكرة واحدة، أما إذا كان المقصود بالدين هنا الدين غير السماوي ففي هذه الحالة يكون الدين والسحر من وضع البشر ويمكن الرد عليه من خلال الاتجاهات الثلاث الأخرى. أي بالمبررات التي ترى أن السحر خرج من الدين أو الدين خرج من السحر أو أنهما منفصلان تمام الانفصال. ويمكن أيضاً التسليم مع هذا الاتجاه بأنهما مظهران لفكرة واحدة هي محاولة حماية الإنسان وتلبية حاجاته بالتالي هما وظيفتان لمفهوم واحد هو خدمة مصالح الإنسان.

والاتجاه الخامس: هو الاتجاه الأكثر إقناعا حيث يرى أن السحر منفصل تماماً عن الدين. وبالنسبة للمبررات التي يسوقها علماء الانثروبولوجيا فقد تم ذكرها من قبل ولهذا نركز هنا على الموقف الإسلامي المؤيد لهذا الاتجاه. وسنطرح هذا الموقف بصورة عامة تركز على نقطة الفصل بين السحر والدين بينما سنعرض الموقف الإسلامي بتوسع لاحقاً. فما يهمنا هنا أن الآيات القرآنية أشارت للدين بالمدح، مثلاً في قوله(يتعالى نبي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (البقرة : 132). وبالتحفيز في قوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (الروم : 30).

أما حديث القرآن عن السحر فقد كان بالذم وذلك في قوله تعالى: (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) (طه : 69). وقوله تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (البقرة : 102).

وهنا أخبرنا سبحانه وتعالى عن ملكي الفتنة أنهما يقولان. لمن جاءهما يريد تعلم السحر: إنما نحن فتنة فلا تكفر بتعلمك السحر وهذا القول منهما يفهم من بوضوح أن أقوال الساحر وأعماله التي يؤثر بها على الناس منهما ما هو كفر في حكم الله وشرعه قطعاً.

والربط بين السحر والكفر هنا يؤكد أن السحر ينافى الدين ويفصل بين السحر والدين تماماً. وإمعانا في الفصل بين السحر والدين يمكن الاستدلال بالفوارق بين السحر والمعجزة التي هي من خصائص الدين والاعتقاد الديني:

1. السحر علم مكتسب من خلال التعلم والصناع بينما المعجزة هبة ومنحة من الله تعطي لأنبياء الله ورسوله.

2. أن معجزات الأنبياء باطنها كظاهرها، بينما خوارق السحرة هي ضرب من الحيلة لإظهار أمور لا حقيقة لها.

3. المعجزة لا يمكن إبطالها، والسحر يمكن إبطاله.

4. السحر يوجد من الساحر وغيره، فقد يوجد جماعة يعرفونه ويأتون به في وقت واحد، والمعجزة لا يمكن أن يأتي أحد بمثلها.

5. الفرق الذي اعتمده المتكلمون راجع إلى التحدي، وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه الرسول قالوا: والساحر مصروف عن مثل هذا التحدي فلا يقع عنه..

السحر والديانات السماوية:

ومما سبق اتضح لنا أن الديانات السماوية هي التي تذم السحر وتنهي عنه ولتوضيح هذا الموقف سنتناول موقف الديانات السماوية من السحر، وبالتأكيد أن كل الديانات السماوية تتفق في موقفها ضد السحر لكن التحريفات التي لحقت باليهودية والمسيحية هي التي فرقتها عن الموقف الإسلامي وهذا الاختلاف نلمسه في اليهودية أكثر من المسيحية.

السحر عند اليهود:

نجد أن التوراة قد أمرت بني إسرائيل بقتل السحرة فقد جاء سفر الخروج في التوراة بالحكم لا تدع ساحرة تعيش، وقد انحرف المسار باليهود، فتعلم كثير منهم السحر ومارسوه ولم يكن هذا وقفاً على العوام منهم، بل مارسه علمائهم وأهل الرأي فيهم. فالتلمود يعتقد اعتقاداً جازماً بأن التنجيم علم يتحكم في حياة الإنسان، والتلمود أيضاً ممتلئ بطقوس السحر والشعوذة والخرافة، وتعلق اليهود بالسحر حتى بلغ بهم الأمر إلى ترك الشريعة المنزلة ونبذها ويتضح هذا في قوله تعالى في سورة البقرة آية (101، 102) (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ(101)، وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ(102). وقد نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا السحر الذي علمته لهم الشياطين بل وصل بهم الأمر إلى اتهام سيدنا سليمان عليه السلام بأنه ساحر.

وبالرجوع إلى العهد القديم وبالرغم من ما لحقه من تحريف نجد أن هناك عدد من الأسفار تدين السحر يمكن إيراد بعض الأمثلة لها:

1. "لا تدع ساحرة تعيش".(العهد القديم ،الاصحاح الثامن والعشرون)
2. "لا تأكلوا لحماً بدمه، ولا تمارسوا العرافة والعيافة".
3. "أي رجل أو امرأة يمارس الوساطة مع الجن أو مناجاة الأرواح، ارجموه ويكون دمه على رأسه".
4. "ولا يكن بينكم من يجيز ابنه أو ابنته في النار، ولا يتعاطى العرافة ولا العيافة ولا ممارسة الفأل أو السحر....، أن تلك الأمم التي انتم تستأصلونها تصدق ممارسة المشعوذين والعرافين، وأما أنتم فإن الرب ألهكم يحظر عليكم ذلك".

5. "وكان صموئيل قد مات وناح عليه الإسرائيليون ودفنوه في الرامة مدينته، وكان شاول قد طرد العرافين ووسطاء الجن عن الأرض".

6. "واقترب منكم لأكون شاهداً سريعاً ضد السحرة والزناة والحالفين بالزور...".

وبالرغم من هذا فقد خالف اليهود كتابهم ومارسوا السحر بل نقلوه إلى كثير من البلاد واستمر هذا حتى الفترة المعاصرة فنجد أن كثير من الدول الأوربية وغيرها من يمارس فيها السحر هم من اليهود.

السحر عند النصارى:-

بالرجوع إلى العهد الجديد نجد أن السحر محرم في الديانة المسيحية ففي رسالة بولس إلى أهل غلاطية يحذر من السحر ويقول:" أن كل من يتعاطى السحر فإنه لا يرث ملكوت الله".

وفي سفر الرؤيا:" أما الجبناء وغير المؤمنين، والفاسدون والقاتلون والزناة، والمتصلون بالشياطين وعبدة الأصنام وجميع الدجالين فمصيرهم إلى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت، الذي هو الموت الثاني".

وأيضا في سفر الرؤيا: "أما خارج المدينة، فهنالك الكلاب والمتصلون بالشياطين، والزناة والقتلة، وعبدة الأصنام، والدجالون ومحبو التدجيل.

موقف الدين الإسلامي من السحر:

يقول ابن خلدون في مقدمته "وأما الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات، وجعلته كله باباً واحداً محظوراً، لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح أخرتنا أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا، وما لا يهمنا في شيء منهما: فإن كان فيه ضرر أو نوع ضرر كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع ويلحق به الطلسمات، لأن أثرهما واحد، وكالنجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير، فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله، فيكون حينئذ ذلك الفعل محظوراً على نسبته في الضرر...، فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة باباً واحداً لما فيها من الضرر وخصته بالخطر والتحريم.

وخلاصة قول ابن خلدون أن السحر محرم في الشريعة الإسلامية لما فيه من ضرر للإنسان وهذا يربطنا بقول الرسول الكريم "لا ضرر ولا ضرار(المؤطا بن مالك) ومقاصد الشريعة متمثل في حفظ النفس وحفظ المال.

فالإسلام حارب السحر والسحرة بشدة واعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم السحر من الجرائم السبعة الكبرى ففي صحيح مسلم والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا الموبقات السبع" قالوا وما هن يا رسول الله؟ قال: "الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات" وسمى هذه الذنوب الموبقات لأنها تهلك صاحبها.

وعد كثير عن علماء المسلمين السحر كفراً، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ) (البقرة : 102).

وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الذي يأتي كاهناً أو عرافاً فيصدقه بما يقول فإنه لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، وعد الذي يقتبس شعبه من النجوم قد اقتبس شعبة من السحر، وصح عن عمر بن الخطاب أنه أمر ولاته في شتى أنحاء البلاد الإسلامية بقتل كل ساحر وساحرة، وبالتالي فإن السحر لم يكن رائجاً

في ديار الإسلام. ويذكر ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية" في حوادث سنة أربع وثمانين ومائتين أن الخليفة المعتضد أمر بأن لا يجتمع العامة على قاص ولا منجم ولا جدلي.(عمر سليمان الأشقر، نفس المرجع)

ويقول ابن تيمية: "والإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله، والشيطان هو نفسه خبيث فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم، فيقفون بعض أغراضه كمن يعطي غيره مالاً ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة. ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل أما حروف الفاتحة وأما حروف قل هو الله أحد وأما غيرهما، بنجاسة أما ذم وأما غيره وأما بغير نجاسة. إذ يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض الأمكنة وأما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتي به، وأما غير ذلك".(ابن تيمية).

وخلاصة الأمر أن الدين الإسلامي يعد السحر من الكفر والشرك كما ورد في قول ابن تيمية . وكذلك يفصل فصلا تاما بين الدين والسحر ، وبهذا يؤيد موقف علماء الانثروبولوجيا الذين يفصلون بين الدين والسحر، مع الاختلاف من حيث تركيز علماء الانثروبولوجيا علي البعد التاريخي في الفصل بين الدين والسحر ، وتركيز الدين الإسلامي علي البعد ألمفاهيمي والقيمي.

الخاتمة:

وضح من خلال هذا البحث أن السحر من الظواهر الاجتماعية القديمة تاريخياً والقوية وجوداً. ذلك أن السحر مازال يمارس حتى عصرنا هذا ولكن في شكل مسميات مختلفة.

وفي كثير من الأحيان يمارس السحر ضمن عادة من العادات الاجتماعية دون التنبه إلى اصولها السحرية، وأغلب من يمارس السحر أو يعتقد فيه يتصف بالجهل، ولا يقصد بالجهل هذا الجهل بالعلوم الدنيوية، فهناك عدد من المثقفين والمتعلمين يمارسون طقوس سحرية سواء مختلطة بالدين أو بالعادات، لكن المقصود بالجهل بالدين وحقيقته وضعف الإيمان.

إن كثير من الطقوس السحرية تمارس تحت غطاء الدين حتى في مجتمعاتنا المعاصرة. وبالتالي من الضروري محاربة هذه الظاهرة من خلال توعية المجتمعات بمضار هذه الممارسات وعدم جدواها. مستندين في تقديم التبريرات إلى الدين الإسلامي، ومن خلال تفعيل الدور الإعلامي في ذلك، وتفعيل تطبيق القوانين التي تمنع هذه الظاهرة وتشديد حدودها.

ولعل هذه الدراسة تلفت الانتباه وإلى إمكانية إجراء دراسات متعمقة في كل طقس أو نمط من أنماط السحر في علاقته بالدين وبصورة تفصيلية.

أن موقف الدين الإسلامي واضح في الفصل التام بين السحر والدين وفي تحريم كل أنواع الممارسات السحرية، لكن الغموض يشوب تداخل هذه الممارسات في الدين، وهذا هو مجال الدراسات المستقبلية.

قائمة المراجع

1. ابن تيمية– إيضاح الدلالة في عموم الرسالة– مكتبة الرياض الحديثة.
2. ابن خلدون– المقدمة– دار العقيدة، الإسكندرية، 1429هـ، 2008م.
3. ابن منظور– لسان العرب– دار المعارف، القاهرة، الجزء الثالث من (د إلى س).
4. أبي بكر الجزائري – ايسر التفاسير لكلام العلي القدير– المكتبة العصرية، صيدا، بيرت، 1429هـ– 2008م.
5. محمد بن أحمد الانصارى القرطبي –الجامع لاحكام القرآن (تفسير القرطبي)– الجزء الثاني .
6. جيمس فريزر _ الغصن الذهبي "دراسة في السحر والدين"_ ترجمة بإشراف أحمد أبو زيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الجزء الأول، 1998م.
7. خزعل الماجدي– بخور الالهة "دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين"– الاهلية للنشر والتوزيع ، الاردن، الطبعة الاولي، 1998.
8. سامية حسن الساعاتي– السحر والمجتمع "دراسة نظرية وبحث ميداني"– مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الأولى.
9. السيد محمد بدوي– المذاهب الاجتماعية "دراسة في الأخلاق"– دار المعرفة الجامعية، 1993م.
10. عبد الصبور شاهين _ أبي آدم "قصة الخليفة بين الاسطورة والحقيقة"– دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، القاهرة.
11. عمر سليمان الاشقر _ عالم السحر والشعوذة– الدار النفائس للنشر التوزيع ، الاردن ، الطبعة الثالثة ، –1997م.
12. فراس السواح – دين الإنسان "بحث في ماهية الدين ومنشأة الدافع الديني"_ دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سوريا، دمشق، الطبعة الرابعة، 2002م.
13. قباري محمد إسماعيل_ علم الاجتماع والفلسفة_ الجزء الثالث_ "الأخلاق والدين"_ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1967م.
14. كتاب الحياة (العهد القديم ، العهد الجديد) _ترجمة تفسيرية ،الطبعة الثانية ، 1988م.
15. معن زيادة_ الموسوعة الفلسفية العربية– معهد الإنماء العربي.
16. مالك بن انس – الموطأ – دار التقوي للنشر والتوزيع ،الطبعة الاولي ،1428هـ ،2007 م.